Al-Noor Journal for Humanities, September (2024); 3(1): 52 - 78
DOI: https://doi.org/10.69513/jnfh.v1n3.a2

IRAQI Academic Scientific Journals

ISSN: 3005-5091
AL-NOOR JOURNAL FOR HUMANITIES
Available online at : *http://www.jnfh.alnoor.edu.iq*
JNFH Al-Noor Journal for Humanities

الباعث الاجتماعي في رثاء المدن في الشعر الأندلسي من عصر الطوائف حتى نهاية الحكم الإسلامي

عادل فيصل هويدي عبد
جامعة الموصل
adel.22ehp209@student.uomosul.edu.iq

أ.د. صالح ويس محمد
جامعة الموصل
alwyis@uomosul.edu.iq

تاريخ الاستلام : ١٣ــ ٥ــ ٢٠٢٤ تاريخ القبول : ٢٤ ــ ٦ ــ ٢٠٢٤ تاريخ النشر : ١٥ ـ٩ ـ٢٠٢٤

ملخص البحث:

تعددت بواعث رثاء المدن في الشعر الأندلسي وتنوعت، وكان الباعث الاجتماعي من بين أهم البواعث التي عملت على بعث ذلك الشعر.ويسعى هذا البحث للكشف عن أثر الحياة الاجتماعية في رثاء المدن في الأندلس بصفة عامة في الفترة من عصر الطوائف حتى نهاية الحكم الإسلامي هناك فالبواعث الاجتماعية بشكل عام يقصد بها المؤثرات الخارجية البواعث التي تؤثرُ على سلوكِ الفرد وشخصيته فقد كان لتلك الحروب والفتن تأثير بشيء أو بآخر في حياة الشاعر الأندلسي حتى وإن كانت الحياة الاجتماعية للأندلسي تبدو وكأنها استمرار لفصولٍ اجتماعية سابقة في كل من رشف الخمر، والتمتع بمرافقتها الأنثى، حيث تؤدي كل منهما دوراً مزدوجاً في تلكَ الحياة، إذ إنها تشكل مظهراً مثالياً رائعاً في البذخ والترف والغنى والأناقة، وهي في الوقت نفسه من الأسبابِ الرئيسة التي تساهم في ضعف الدولةِ وانهيارها.

Al-Noor Journal for Humanities, September (2024); 3(1): 52 - 78
DOI: https://doi.org/10.69513/jnfh.v1n3.a2

© THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE.
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

فكما عمد ذلك الشعر إلى تصوير المآسي التي حلت بتلك المدن فإنه في الوقت نفسه قد عمد إلى تصوير المجتمع في حالة الرخاء والترف فتفنن شعراء الأندلس القول في مجالس الشراب واللهو وأبدعوا في هذا الأمر فقد وصفوا هذه المجالس وما يدور فيها من فرح وسرور، ووصفوا السقاة والندماء، ووصفوا أماكن انعقاد هذه المجالس في الحاناتِ والرياض، والبساتين، كما تفننوا في وصفِ الخمر وآنيتها وكؤوسها .وقد سعت هذه القراءة الوصفية التأويلية للوقوف عند الباعث الاجتماعي لرثاء المدن الأندلسية، وبيان اهميته وحجم وطرق تعامل الشعراء معه.

الكلمات المفتاحية :(الأندلس ، رثاء المدن ، الباعث الاجتماعي)

The Social Motive in Lamenting Cities in Andalusian Poetry from the Era of the Taifas to the End of Islamic Rule

Researcher: Adel Faisal Huwaidi Abd
University of Mosul
adel.22ehp209@student.uomosul.edu.iq

Prof. Dr. Saleh Wais Muhammad
University of Mosul
alwyis@uomosul.edu.iq

Abstract
The motives for lamenting cities in Andalusian poetry were numerous and varied, with the social motive being among the most significant factors that revitalized this genre of poetry. This research aims to uncover the influence of social life on the lamentation of cities in Andalusia, particularly from the era of the Taifas to the end of Islamic rule. Social motives, in this context, refer to external influences—factors that shape an individual's behavior and personality. The wars and strife of the time significantly impacted the lives of Andalusian poets. Despite the turbulent social conditions, the lifestyle of Andalusians often reflected a continuation of previous social customs, such as the indulgence in wine and the enjoyment of female companionship.

These elements played a dual role in society: they symbolized the height of opulence, luxury, wealth, and elegance, while also contributing to the weakening and eventual collapse of the state.
Andalusian poetry not only depicted the tragedies that befell these cities but also portrayed society during times of prosperity and luxury. Andalusian poets excelled in their artistic expression of gatherings centered around drinking and amusement, vividly describing the joy and pleasure of these events. They portrayed the bartenders and barmaids, the venues of these gatherings—whether in bars, gardens, or orchards—and they skillfully described the wine, its vessels, and cups.
Keywords: Andalusia, lamentations of cities, social motive

المقدمة:

لم يكن الباعث الاجتماعي أقل حضوراً من البواعث الاخرى في بعث شعر رثاء المدن بل قد يفوقهما في حضوره ؛لما له من أهمية بالغة في شحذ الهمم لاسيما الصور الإنسانية التي يحويها "فالشعر العربي مع تمسكه الشديد بالتقاليد لم ينسحبْ ولم يهربْ من الحياة، بل كان يرافقها في السلم والحرب، وكان الشاعر يرى من واجبه أن يشارك في أحداث مجتمعه "[١]فقد كان شعر رثاء المدن مرآة لما حدث في تلك المدن من بطش وانتهاكات فـ"الأدب مرآة لما يدور في الحياة، وتعبير صادق عن حياة الأمة في هناءاتها وبؤسها...وهذا مافعله نخبة من الأدباء، فقد رسموا لنا صورة واضحة المعالم عن مجتمعهم من خلال المادة الأدبية التي بين أيديهم، وثمة علاقة وثيقة بين الأدب وحركة المجتمع، وقد عبر الشعراء الأندلسيون عامة عن كثير من العادات والتقاليد في الأندلس، وصوروا جوانب شتى من مظاهر السلوك اليومية "[٢]فصور شعراء الأندلس في مضامينهم الشعرية العادات والتقاليد بالإضافة إلى الصور الإنسانية التي كانت تنتج عن الأحداث السياسية والفتن والحرب[٣].

فالبواعث الاجتماعية بشكل عام يقصد بها" المؤثرات الخارجية البواعث التي تؤثر على سلوك الفرد وشخصيته "[٤]فقد كان لتلك الحروب والفتن تأثير بشيء أو بآخر في حياة الشاعر الأندلسي حتى وإن كانت الحياة الاجتماعية للأندلسي "تبدو وكأنها استمرار لفصول اجتماعية سابقة في كل من رشف الخمر، والتمتع بمرافقتها الأنثى، حيث تؤدي كل منهما دوراً مزدوجاً في تلك الحياة، إذ إنها تشكل مظهراً مثالياً رائعاً في البذخ والترف والغنى والأناقة...وهي في الوقت نفسه من الأسباب الرئيسة التي تساهم في ضعف الدولة وانهيارها "[٥] فكما عمد ذلك الشعر إلى تصوير المآسي التي

حلت بتلك المدن فإنه في الوقت نفسه قد عمد إلى تصوير المجتمع في حالة الرخاء والترف فـ"تفنن شعراء الأندلس القول في مجالس الشراب واللهو وأبدعوا في هذا الأمر فقد وصفوا هذه المجالس وما يدور فيها من فرح وسرور، ووصفوا السقاة والندماء، ووصفوا أماكن انعقاد هذه المجالس في الحانات والرياض، والبساتين، كما تفننوا في وصف الخمر وآنيتها وكؤوسها.وقد كان بعض الشعراء يفضل شرب الخمر وانعقاد هذه المجالس في أحضان الطبيعة الخلابة "[٦]فانغمسوا في ترفهم وملذاتهم التي كانت في نهاية المطاف أحد الأسباب الرئيسية في نهاية الحكم الإسلامي هناك.

"ومرَّت الأيام، ومال المسلمون في الأندلس إلى حياة الرخاء والنعيم، متناسين من يمكر بهم، ومن يجمع صفوفه لسحقهم، كان عدوَّهم يستعد عسكرياً، ويوحد كلمته وهم في خصوماتهم...وترفهم مخمورون "[٧]ذلك التيار المجوني الذي أُصيب بصدمة عنيفة في العهد المرابطي أدت إلى انحساره والحد من تدفقة وذلك بسبب سياسة الدولة القائمة على الدعوة الدينية [٨]التي أدت إلى زيادة الوعي الديني والعمل على نشر تعاليم ذلك الدين، ومن ثم عاد لينتشر وبقوة في الأندلس. ومن النقاد من ذهب إلى الربط المباشر بين الانحراف الخلقي وسقوط الأندلس جاعلاً من الابتعاد عن الدين وتفكك المجتمع وانغماسه في الترف واللهو سبباً مباشراً من أسباب الإنهيار ،فيقول شوقي أبو خليل :"وعلَّة السقوط عرفها القريب والبعيد، ونصحنا الصديق والغريب..إنها ترك ديننا وفضائلنا، والميل على الخفة والمرح والاسترسال في الشهوات " [٩]فكان ذلك سبباً مهماً في ضياع ذلك المجد التليد.

أما عن الوضع الاجتماعي للشعراء بشكل عام ففي عصري الطوائف والمرابطين كانوا يتفاوتون في وضعهم الاجتماعي تفاوتاً يجعلهم على وجه التقريب في ثلاث طبقات:

أ- طبقة الشعراء الذين بلغوا أعلى مناصب الدولة وكان هؤلاء ينالون رواتب ضخمة وبذلك يقفون في مستوى الطبقة الارستقراطية العالية.

ب- طبقة الشعراء المنتمون أي يلزم الواحد منهم بلاط أحد الامراء وينتمي إليه، ويأخذ منه رسماً شهرياً أو سنوياً مقرراً، أو جوائز غير موقوتة بوقت وإنما هي منحة تعطى للقصيدة الواحدة.

ج - الشعراء الجوالون:وهم الذين يطوفون على الأمراء مادحين متكسبين بأشعارهم وهم أكثر عدداً من الطبقتين السابقتين .

وفي الحقيقة أن الشاعر في عصر الطوائف كان يكابد في سبيل الرزق صعاباً جمة، ولم يكن يستطيع وهو في أعلى درجاته أن ينافس الكاتب في المكانة الاجتماعية أو السياسية .[١٠]فكان "إزاء تلك الصراعات الخارجية والداخلية وما تؤدي إليه من

تناقضات اجتماعية مؤثرة، يقف الشاعر الأندلسي وهو يحس بالاغتراب الاجتماعي امام طرق عدة ،باحثاً عن طموحه وأحلامه بين ركام من التناقضات الفكرية التي افرزتها العقلية الأندلسية في تلك العصور المضطربة، فالشعور بالحيف والانتفاض من الذات يدفعانه بلا هوادة إلى التعبير عما يجيش في نفسه من ألم وحزن، صارخاً من أعماق ذاته بذلك المجتمع الذي يسلبه قوته ورزقه وسعادته، ويبلغ ذلك الشعور درجة السخط والتبرم والشكوى، وتصبح تلك الحالة سمة بارزة في نتاجه الشعري "[١١]بالإضافة إلى الانتهاكات الإنسانية والدمار الذي كانت تخلفه تلك الفتن أو الجيوش الغاصبة فقد شكلت جميعها باعثاً اجتماعياً لقول الشعر لا سيما الشعر الذي قيل في رثاء تلك المدن المغصوبة.

كل ذلك كان سبباً في تفكك عقد تلك المدن وزوال حُكم بني أمية. فشكل ذلك البعد الاجتماعي باعثاً في قول الشعر الذي قيل في رثاء المدن فمن تمثلات الباعث الاجتماعي ما قاله القيسي:

يا أهل وادي الأشى لا درّ درّكم ولا برحتم لَقى للكرب و الكمد
ضيعتم سَفَها حصن اللقون ولم تُراقبوا فيه حقَّ الواحد الصّمد
فاستشعروا إذا أضعتم فيه حزمكم والجد قرب انقضاء الوقت والأمد[١٢]

بإبيات يتصدرها أسلوب النداء وتحمل في طياتها اللوم والتقريع وجه القيسي نداءه إلى أهل الأندلس لاسيما سكان وادي الأشى بالشتم والدعاء؛ لضعفهم وتقصيرهم في الحفاظ على تلك الحصون، بل أنهم أحدثوا العكس لسفاهة عقولهم وطيشهم ،فقد جعلوا عقد تلك الحصون ينفرط لتسقط واحدة تلو الأخرى، ولم يخافوا الله في ذلك فليرتقبوا عاقبة فعلهم (راقبوا فيه حقَّ الواحد الصّمد)، وكأن القيسي في أبياته لا يرد سقوط تلك الحصون إلى الفساد السياسي فقط ،بل يرهنه بالفساد الاجتماعي أيضاً ثم يمضي القيسي منتهياً محذراً مطلقاً" تهديداً صارخاً وإنذاراً مجلجلاً بقرب سقوط الأندلس كلها، وقرب انقضاء العد التنازلي لهذه الكارثة العظمى ، بسبب التضييع والتفريط وانعدام الحزم والعزم" [١٣](فاستشعروا إذا أضعتم فيه حزمكم).

ومن تمثلات الباعث الاجتماعي أيضاً ما نجده في قول البسطي عندما أُخذ جبل الفتح إذ يقول:

أواري أوار القلب مع شدة اللفح فتبديه عَينٌ دمعُها دائم السّفح

...

وأخفي الذي ألقى من الحزن والأسى وظاهرُ حالي -الدهر-يُؤذن بالصفح
وأبدي من التقطيب للفتح حـــالةٌ تَسوء صديقي في مساءٍ وفي صبح
وقائلة: مـا لـــــــــي أراك مقطِّبـا كـأنك لـلتقطيب هُددت بـالذبحِ
فقلت دعيني الحزن فرض على الورى أما قد حوى أعداؤنا جبل الفتح(١٤)

يصور البسطي حرارة قلبه وكمده على فقدان جبل الفتح ولـشدة الحزن وحرارة العاطفة وعظمة المصاب يـخرج ذلك الحزن الذي يحـاول إخفاؤه عــن طريق الدموع المسترسلة دون انقطـاع لـدرجة أن ذلـك الحـزن قـد غيـر مـلامح البسـطي المعروفـة بـالسماحة والطلاقة والبشر ليبدو (مــن التقطيب) عبوس الـوجه (١٥)فـي حالٍ يُرثـى لهـا تسوء كل من يكن له الود والمحبة.ثم يمضي البسطي في خلق جو من الحوار والمناقشة في قصيده ،جاعلاً فتاة تحاوره متسائلة عن السبب الذي جعلـه عبوساً وعـن مـلازمة الحزن لـه وكأنه سيُقتل "وكأن ألمه صورة لما كان يجيش بصدور أهل الأندلس جميعاً من همّ وغمّ لهذا الحدث الجلل"(١٦) ثم يمضـي بـقلب مكلوم تملؤه أحاسيس الحـزن والأسى منكراً علـى كل شـخص يطالبـه بـالكف عـن البكـاء بعد أن بـلغ السيل الزبـى بفقدان جبل الفتح.

ومن تمثلات الباعث الاجتماعي ما نجده في رثاء ابن حزم*(١٧)لقرطبة إذ يقول:

سلام على دار رحلنا وغودرت خلاء من الأهلين موحشة قفرا
تراها كأن لم تغن بالأمس بلقعا ولا عمرت من أهلها قبلنا دهرا
فيا دار لم يقفرك منا اختيارنا ولـو أننا نستطيع كنت قبرا
ويـا خير دار قد تركت حميدة سقتك الغوادي مـا أجل وما أسرا
ويـا مجتلى تلـك البساتين حفّها رياض قوارير غدت بعدنا غبرا(١٨)

يبدأ ابن حزم قصيدته مقرئاً السلام على تلك المدينة التي أصبحت خالية من البشر موحشـة ليس فيهـا إلا حطـام وآثـار ،لا مـاء فيهـا ولا كـلأ بـعد أن ارتحـل عنهـا أهلهـا بسبب مـا حصل مـن فتة أودت بها، ثـم يمضـي ابـن حزم عاقداً شيئاً من المقابلـة بين ماضي قرطبة الزاهي (تــراها كأن لــم تغن بالأمس بــلقعا -ولاعمرت من أهلها قبلنا دهرا)وحاضرها الـذي أصبح ركاماً وقـد اندثر ذلك المجد والعمران الـذي لطالمـا عمّر

دهوراً، في الوقت نفسه يُذكر شاعرنا بأسباب الرحيل والتخلي لم تكن باختيارهم ،ولو كانت كذلك لبقوا فيها حتى الموت، ثم يسترسل متحسراً في وصف قرطبة وكيف كانت وكأنها جنة تحفها البساتين من أغلب جهاتها ، فـ" الطابع الغالب على هذا النوع من الرثاء هو الأسى العميق، والتماسُ العظمة والتأسي في قيام الدول ثم زوالها منذ القدم... وتصوير ما أصاب الإسلام والمسلمين في الأندلس من ذل وهوان، وتعلقهم بديارهم الجميلة التي أُجلوا عنها والتفجع على الأهل والرفاق المشردين "[١٩]الذين لطالما مكثوا في تلك الجنة التي حولت فيما بعد إلى دمن وأثار مقفرة.

ومما يظهر فيه الباعث الاجتماعي بوضوح "قول بعض الشعراء يبكي قرطبة بعد الفتنة "[٢٠]راداً ما حدث إلى نظرة العين فيقول:

ابكِ على قرطبة الزين	فقد دهتها نظرة العين
أنظرها الدهر بأسلافه	ثأم تقاضى جملة الدين
كانت على الغاية من حسنها	وعيشها المستعذب اللين
فانعكس الأمر فما أن ترى	بها سرورا بين اثنين
فاغد وودعها وسر سالما	إن كنت أزمعت على البين[٢١]

ينطلق الشاعر المجهول من باعث اجتماعي ليصف ويصور حال قرطبة بعد الفتنة مطالباً بالبكاء عليها، وبشكل مشابه لما ذهب إليه شعراء هذا المضمار في "إرجاع نكبتهم إلى فعل الدهر حيناً وإلى أنفسهم حيناً آخر "[٢٢]فقد عزا شاعرنا هذه المرة سبب ما حدث بقرطبة إلى اجتماع نظرة العين والحسد التي أصابتها لجمالها وحسنها وكذلك الدهر الذي أنظرها ومضى عليها فحولها إلى حطامٍ آخذاً منها ثمن كل لحظة جميلة مرت عليها، ثم يمضي شاعرنا مسترسلاً عاقداً مقارنةً بين ماضيها الجميل وكيف كانت غاية من الحسن والجمال ، وساكنيها وما ينعمون به من عيش مترف (وعيشها المستعذب اللين) لينقلب الأمر فيما بعد فيخيم الحزن عليهم ولم(ترى بها سرورا بين اثنين)، ثم ينتهي بعد أن قطع أمله باستحالة عودتها كما كانت وأن ربيعها الزاهي قد مضى مطالباً بنبرة المتشائم كل من عقد وعزم على الرحيل منها بالإسراع في ذلك وتركها.

ومن تمثلات الباعث الاجتماعي ما نجده في رائية ابن شهيد في رثاء قرطبة والتي كان مطلعها:

ما في الطلول من الأحبة مخبرُ فمن الذي عن حالها تستخبر ؟

ومنها:

لا تسألنَّ سوى الفراق فـإنه يُنبيك عنهم أنجدوا أم أغوروا
جـار الزمان عليهم فتفرقوا فـي كُل ناحية وبادَ الأكثرُ
فـدعِ الزمان يصوغ في عرصاتهم نوراً تكادُ لـه القلوب تُنور
فـلمثل قرطبة يقلُّ بُكاء من يَبكي بعينٍ دَمعها متفجرُ[٢٣]

يتساءل ابن شهيد في مطلع قصيدته ثم يجيب، جاريـاً علـى طريقة المشارقة فـي الوقوف عـلى الأطلال لكن هذه المرة أطلال المدينة وآثارها وأي مدينة ؟ أنهـا قرطبة ذات الجمال والعمران الـذي جرى عليها الزمان وخطوبه ليجعل مـن (الفراق) الـذي شخصه كما البشر أساساً وهدفاً مـن تلك الفتنة ،فأصبحوا مشردين في أنحاء الأندلس وخارجها ،وقـد صدرت تلك الأبيات عن عاطفة جياشة فهو" عاش نهاية أيام العاصمة عن قرب، وشهد مأساتها كاملة، وصوته لا يبلغ قرطبة من بعيد، وإنما يصدر من أعماقها، بين الأطلال وأكوام الخرائب، وجاء صدى لهذا الواقع الأسيف كله، وهو يلتفت حوله فلا يرى أحداً يستجير به، فالناس جلهم قتلى ضمتهم القبور، والقلة الباقية توزعتها الطرق مولية "[٢٤]، ثم يـمضي مطالباً بترك الدهر ومـا يفعله مـن تفريقهم وانتشارهم في بقاع الأرض(نوراً تكـادُ لـه القلوب تُنور) فـلعل الدهر شتت شملهم لينتشر عبيرهم في بقية الأندلس، ليسترسل بعد ذلك(فـلمثل قرطبة يقلُّ بُكاء مـن - يَبكي بعينٍ دَمعها متفجرُ)مـطالباً بالمبالغة في البكاء عـلى قرطبة لأنه لا يوجد بكاء يفيها حقها.

ثم يسترسل ابن شهيد واصفاً قرطبة ومعالمها وأجوائها معتمداً البعد ذاته فيقول:

ورياح زهرتها تلوح عليهم بروائح يفتر منها العنبرُ
والدار قد ضرب الكمال رواقه فيها وباع النقص فيها يقصر
والقوم قد أمنوا تغير حسنها فتعمموا بجمالها وتأزروا
يا طيبهم بقصورها وخدورها وبدورها بقصورها تتخدر[٢٥]

يسترسل ابن شهيد واصفاً المدينة وروائح زهورهـا الفواحة الشبيهة برائحة (العنبرُ)، كدليل على العيش الراغد فيها، ثم يمضي مصوراً قرطبة على درجة عالية

Al-Noor Journal for Humanities, September (2024); 3(1): 52 - 78
DOI: https://doi.org/10.69513/jnfh.v1n3.a2

من الكمال ولا ينقصها شـــيء مـــن العمران وأساسيات العيش (والــدار قد ضرب الكمال رواقه) ؛بــل قـد فاقت التوقعات ليصفها وكأنها "المدينـة الفاضلة فهي مدينـة الكمال "[٢٦]فقد وصلت لـدرجة من الكمال لتضاهـي مدينـة أفلاطون الفاضلة، لـدرجة أن أهالي قرطبة قد أمنوا عليها وأتخذوها مازراً معتقدين بعدم زوالها لأي سبب كان؛ لما كان فيها من قصور وخدور وربوع ينعمون بها.ثم يمضي بعد ذلك لينتهي متأسفاً على ما حدث فيها فيقول:

أسفي على دارٍ عهدت ربوعها وظباؤها بفنائها تتبختر

...

نفسي على آلائها وصفائِها وبَهائِها وسنَائِها تتحسر

كبدي على عُلمائِها حُلمائِها أُدبائِها ظُرفائها تتفطّرُ[٢٧]

نتهي ابن شهيد نهاية مأساوية تتضمن (أسفي عـلى دارٍ عهدت)الأسف والحزن على مـا حل بتلك الربوع والمنشآت العمرانيـة التي عرض لها عرض وافٍ فـي طيات قصيدته، فبعد أن كانت كلاً متكاملاً من العمران "قد طمست أعلامها وخفيت معاهدها وغيرها البلى ، فصارت صحاري مجدبة بعد العمران ،وفيافي موحشة بعد الأنس"[٢٨]ليمضي مـتحسراً على كل شيء فيهـا وعلى ما فقدته من رموز أفقدها نورها وبهجتها وضياءها، ومـا فقدته من (عُلمائِها وأدبـائها) الـذين غادروا بفعل تلك الفتنـة، وانتشروا فـي بقاع الأرض مُجبرين على الرحيل بعد أن كانت تزهوا بهم ويضيؤن دور علمها كل ذلك كان مـما يتفطر له الأكباد وتحترق عليه القلوب.

ومن تمثلات الباعث الاجتماعي ما نجده عند أبي إسحاق الإلبيري في رثائه لمدينة إلبيرة عندما بدأه بعتاب ولوم اجتماعي يلقيه على أهل زمانه إذ يقول:

يضيّع مفروض ويغفل واجب وإني على أهل الزمان لعاتب

والتي منها:

أتندب أطلال البلاد ولا يرى لإلبيرة منهم على الأرض نادب

على أنها شمس البلاد و أنسها وكل سواها وحشة و غياهب

وكم من مجيب كان فيها لصارخ تجاب على جدوى يديه السباسب[٢٩]

Al-Noor Journal for Humanities, September (2024); 3(1): 52 - 78
DOI: https://doi.org/10.69513/jnfh.v1n3.a2

بعد أن توجه الإلبيري بعتابه لأهل زمانه ممن قد أضاعوا المعروف والواجب يعود ليلقي بلومه على ابناء جلدته من شعراء الأندلس بعد أن (أتندب أطلال البلاد ولايرى -إلبيرة منهم على الأرض نادب) وجدت العديد من القصائد التي قيلت في رثاء المدن الأندلسية ،في حين نجد في المقابل أغفال شعراء الأندلس عن ندب ورثاء مدينته إلبيرة، فكيف لا يرثيها الشعر وهي(شمس البلاد) وكل شي دونها موحش ومظلم، ثم يمضي ألإلبيري واصفاً تلك المدينة وأهلها الذين كانوا لا يتوانون في أغاثة المسغيث ،ومن يستجير بهم حتى وإن كانت تلك الاستغاثة قد توجهت من الصحراء.

ومما قد جاء به الباعث الاجتماعي في الحنين إلى الأوطان ما قاله أبو المطرف بن عميرة *[٣٠] في ندب مدينة بلنسية إذ يقول:

زِدْنا على النائينَ عَن أوطانهم	وإن اشتركنا في الصبابة والجوى
إنا وجدناهم قد استسقوا لها	من بعد أن شطت بهم عنها النوى
ويَصُدنا عن ذاك في أوطاننا	مع حُبها الشرك الذي فيها هوى
حسناء طاعتها استقامتْ بعدنا	لعدونا، أفيستقيم لها الهوى ؟[٣١]

يصور ابن عميرة شوقه وحنينه إلى وطنه الذي يزيد عمن شاركوه هذا الاحساس وغادروا أوطانهم مُجبرين ، حتى وأن جمعتهم وطأة البعد وأتعب قلوبهم الحنين إلى تلك الديار، ثم يردف قائلاً(ويَصُدناعن ذاك في أوطاننا -مع حُبها الشرك الذي فيها هوى) فهو يمضي على درجة عالية وكبيرة من الكبرياء والعنفوان اللذين يمنعانه من الاستسقاء لوطنه كما يفعل من هم معه في نفس المضمار، فهو يضفي بذلك على وطنه وديارة مستخدماً أسلوب التشخيص ، جاعلاً منها كما البشر فهي تحب وتكره فما منعه من الاستسقاء لها هو تصوير تلك الديار وهي وامقة للنصارى ومحبة لهم ،بعد أن انتشر الشرك في أحيائها، لينتهي مصوراً تلك المدينة على أنها حسناء جميلة قد عشقت أعداءنا فهل يأتي يوم وتعود أيام العشق بينه وبينها، فهو يبوح بحبه لتلك المدينة حيناً ويصف استيلاء النصارى عليها حيناً آخر ، فهذه الأبيات كما وصفها المقري "ما رأيت ولا سمعت مثل هذه الأبيات في معناها، العالية في مبناها، فإن فيها الاشارة إلى استيلاء النصارى -دمرهم الله – على تلك الديار، وثبوت قدمهم فيها على طبق ما حصل لهم فيه اختيار، مع إدماج حبّه لها الذي لا يُشك فيه ولا يُرتاب، واشتمالها على المحاسن التي هي بغية الرائد ونُجعة المنتاب"[٣٢]فكانت على درجة علية من الكمال

والدقة. وهنـا يجمع أبو المطرف بين الرثاء والحب لمدينة هي أندلسية في ماضيها وليس حاضرها.

ومن تمثلات الباعث الاجتماعي ما نجده أيضاً في شعر ابن عميرة في رثائه وحنينه إلى مسقط رأسه شقر وغيرها من مدن شرق الأندلس إذ يقول:

تذكر عهد الشرق والشرق شاسع وذاب أسىً للبرق والبرق لامع

...

واتبع ذكر الجزع أنه موجع له أبدا قلب على الجزع جازع

كفى حزناً نأي عن الأهل بعد ما نأينا عن الأوطان فهي بلاقع

أحن إلى أرض تقادم عهدها ومن دونها أيدي الخطوب الموانع

وكيف بشقر أو بزرقة مائه وفيه لشقر أو لزرق مشارع [٣٣]

يصور ابن عميرة حنينه الشديد إلى مسقط رأسه شقر فهو يمضي في عهداً سلف له بشرق الأندلس ؛ليصف كمية الحزن والآسى اللذين لا يفارقانه على انقضاء ذلك العهد الذي لطالما ذكره به (البرق) الكثير في تلك الربوع، وما كان يفعله من أضائة لليالي الأنس والسمر مع الأحباب وما عاشه هناك من البهجة في مدائن شرق الأندلس، ثم يسترسل ابن عميرة منتهياً إلى الكف عن الحزن على تلك الديار التي غادروها مجبرين وأصبحت حطاماً (بلاقع) خالية من الأنس، فهو بالرغم من ذلك يبقى حنينه إلى تلك الديار رغم ما أحدثه الدهر فيها، لينتهي منطلقاً من البعد الاجتماعي متسائلاً (وكيف بشقر) ذلك الوادي مسقط رأسه الذي له فيه صور مشرقة جميلة عاش فيها لحظات عذبة، سيبقى قلبه ذاكراً إياها متحسراً عليها حزيناً لفقدها إلى ماشاء الله له أن يبقى حزيناً، فلقد بلغ الحزن في نفس ابن عميرة أعلى غاياته، ذلك لأنه لن يصاب بشيء أكثر إثاره للحزن مما أصابه بعد أن ذاق جميع ويلات الفراق والبعد عن وطنه الذي أصبح قفراً من أهله وتحطمت منشآته العمرانية التي جاء عليها الدهر فحطمها. [٣٤]

ومن نماذج الباعث الاجتماعي ما قاله ابن عميرة في وصف حال أهل بلدته بعد أن جار بهم الزمان ليصبحوا مشردين إذ يقول:

صاح بهم صائح الرحيل فما فيهم على البين واحد سلما

وجاس بالروع عقر دارهم من بعد ما كان سربهم حرما
فهم عَباديد في البلاد ولا شمل بكف الخطوب منتظما
قد أقسم الدهر أن يفرقهم وجنب الحنث ذلك القسما
يا سائلي عن بكاي بعدهم بكيت دمعاً حتى بكيت دما[٣٥]

يمضي ابن عميرة في قصائده التي تتشابه في نسقها وغرضها وهو يصف ما يتعرض له الأندلسي من تهجير قسري ورحيل عن تلك المدن، التي كان يجتاحها العدو(فما فيهم على البين واحد سلما) فلم ينجوا من ذلك الرحيل أحدٌ، ثم يسترسل ابن عميرة(عباديد في البلاد) ليصف تفرق هؤلاء السكان وانفراط عقد مدن الأندلس ،الذي أدى إلى إستحالة لم شملهم راداً كل ما حصل من تهجير وتفرق شمل إلى (الدهر) الذي أقسم وكان وفياً بقسمه لينتهي بمبالغته في البكاء والحزن على ما حصل لدرجة (البكاء دماً) ليصل بذلك أعلى درجات البكاء " ومع بساطة هذه القطعة الشعرية نلاحظ أن الشاعر قد نجح في أن ينقل لنا ما كان يدور في المدن والقرى الأندلسية عندما اجتاحها العدو، وخرج بالقصيدة من الحدود الخاصة إلى الآفاق العامة ،وصارت رمزاً لآلاف الحوادث المماثلة، وبهذا المبنى التصويري حقق الشاعر في قصيدته القصيرة ما حققته غير قصيدة طويلة في المعنى نفسه "[٣٦]فقد استطاع ابن عميرة في ذلك أن يجعل من قصيدته أنموذجاً يطبق على جميع مدن الأندلس التي عاشت ويلات الرحيل والفراق.

وأننا نرى أن" شعر رثاء المدن التي سقطت في الفتن الداخلية، لا يحدثنا عن تلك النماذج... التي جاءت في قصائد رثاء المدن في الحروب مع النصارى، مع أن التاريخ يحدثنا عن حوادث، وأزمات شبيهة بما حدث في سقوط المدن في الفتن والحروب الداخلية، كالذي جرى في سقوط قرطبة، وإلبيرة وغيرهما"[٣٧]فإننا نرى أن السبب وراء إبتعادهم عن تصويرهم لتلك النماذج الإنسانية في الفتن والحروب الداخلية هو من أجل عدم تجدد الأحقاد والكراهية بين ابناء الأندلس. ومن تمثلات الباعث الاجتماعي ما نجده في شعر الفقيه ابن العسال في تصويره لجرائم وعبث النصارى وهم يرتكبون الآثام بعناصر المجتمع الأندلسي وعلى مستوى جميع الفئات إذ يقول:

كم موضع غنموه لم يرحم به طفل ولا شيخ ولا عذراءُ
ولَكم رضيع فرقوا من أُمِّه فلـه إليها ضجةٌ وبغاءُ

وَلرب مولودٍ أبوه مُجدلٌ فوق التراب وفَرشه البيداءُ
ومصونة في خدرها محجوبةٍ قد أبرزوها مالها استخفاءُ
وعزيز قومٍ صار في أيديهمُ فعليهْ بعد العِزة استحذاءُ[٣٨]

يصور ابن العسال منطلقاً من الباعث الاجتماعي والعاطفة الاجتماعية حال المسلمين بجميع طبقاتهم وفئاتهم العمرية ،وهم يتعرضون لأقسى الانتهاكات وأبشع صور التعذيب في جميع الأماكن التي استولى عليها النصارى الذين لم يرحموا طفلاً ولا شيخاً كبيراً، لينتقل وبإسلوب بسيط يصورما حدث في الواقع (وَلرب مولودٍ)ذلك الرضيع الذي قد فرقوه عن أمه فانهمرت دموعها باكية عليه محترقاً قلبها ليصدر عن ذلك أقسى الويلات والعبرات، ثم يسترسل فقيهنا (ومصونة في خدرها محجوبةٍ)عازفاً على وتر الشهامة العربية التي تعد المرأة(العرض) بالنسبة لهم أشبه بما يكون بالمقدسات ،ففي" هذه البيئة تعتبر المرأة "حرماً)، تعدُّ الفجيعة قاصمة من القواصم، خصوصاً إن وقعت أسيرة في يد الغزاة "[٣٩] فقد مارس أولئك النصارى أقذر طرقهم وأوسخها من أجل إحراق قلوب المسلمين "فإن عُداةَ الله كانوا يومئذٍ يتولعون بهتك حُرم أسراهم وبناتهم بحضرتهم وعلى أعينهم، إبلاغاً في تعذيب قلوبهم "[٤٠]ينتقل بعدها فقيهنا في هذه الأبيات (وعزيز قومٍ صار في أيديهمُ)مؤكداً على البعد الاجتماعي في تصور كل من كان يتمتع بمكانة اجتماعية مرموقة وكيف أصبح(بعد العِزة استحذاءُ) مذلولاً لا يقوى على شيء يريده.

وفي المعنى نفسه ما نجده عن الشاعر المجهول الذي رثى مدينة طليطلة إذ يقول مصوراً المرأة:

أُديلت قاصرات الطرف كانت مَصُوناتٍ مساكنها القصور
وأدركها فتور في انتظار لِسِربٍ في لواحظه فتور
وكان بنا وبالقينات *[٤١] أولى لو أنضمت على الكل القبور[٤٢]

يصور الشاعر المجهول ما كانت تتعرض له نساء طليطلة من هتك واعتداء معتمداً على المقابلة بين ما كان يتمتعن به من عيش راغد داخل القصور ،وكيف كانت محفوظة مؤتمن عليها ليدركها بعد ذلك (فتور) تراخي وانحلال في مقابل الشدة والحرص الذي كانت تعيشه في ظل الحكم الإسلامي، ثم يمضي شاعرنا(لو انضمت

على الكل القبور) ليصور نساء المدينة وهن وامقات للموت وسبيله متنميات له من أجل إلا ترى أعينهن ما قد يحصل لهن من هتك واعتداء وتجاوز لا تقبله الإنسانية.

وبذلك يتأكد أن شعر رثاء المدن التي سقطت أمام النصارى قد رَسَمَ فيه " الشعراء لوحات شعرية متكاملة للمأساة التي ألمت بالمدن الأندلسية وأهلها، تناولوا فيها عدداً من النماذج الإنسانية التي تغطي فئات المجتمع الأندلسي وشرائحه، وبرز فيها الإنسان الأندلسي في صورة الضحية المعتدى عليها، فصور الشعراء حالة الذل والضيم والهوان التي عاناها الأندلسيون عند احتلال مدنهم، الي بلغت من القسوى النهاية، وتجاوزت في سوئها الغاية " [٤٣]ومن تلك النماذج ما نجده في شعر شاعر مجهول يتوجه بشعره إلى السلطان أبي يزيد العثماني مصوراً بذلك حال أهل الأندلس منطلقاً من البعد الاجتماعي إذ يقول:

سلام عليكم من عبيد أصابهم	مصاب عظيم يالها من مصيبة
سلام عليكم من شيوخ تمزقت	شيوبهم بالنتف بعد عزة
سلام عليكم من وجوه تكشفت	على جملة الأعلام من بعد سترة
سلام عليكم من بنات عواتق	يسوقهم اللباط *[٤٤] قهراً لخلوة
سلام عليكم من عجائز أكرهت	على أكل خنزير ولحم لجيفة[٤٥]

ينطلق شاعرنا من الباعث الاجتماعي في تصويره لما حدث كغيره من شعراء هذا المضمار ،الذين صوروا ما أصاب الأندلسي من مصائب ، وما تعرض له من انتهاكات يصفها الشاعر المجهول بـ(مصاب عظيم) ،"وهي عبارة مشحونة بالأسى والحزن لما حل بالمسلمين في الأندلس" [٤٦]،ثم يمضي مبلغاً وناقلاً سلاماً فيه شيء من التعظيم، ويحكي لسان حال كل فئة منهم بدءاً من الشيخ وما تعرض له من اهانة وذل وهوان بعد كل ما عاشه من عز، ليمضي مصوراً الفتيات والنساء المسلمات وما يتعرضن له من هتك ستور، وما يفعله (اللباط)القس من أجبارهن على الخلوة معهم لينتهي بالعجائز اللواتي لم يسلمن من عبث النصارى وأفعالهم الدنيئة ،فقد أجبروهن على مخالفة الدين الإسلامي وأكل لحم الخنزير، فالأبيات لا تخرج من كونها استصراخ واستغاثة بالسلطان ، من خلال اطلاعه على ماحدث ،وجعل طلب النجدة من تلك الفئات إلى السلطان عبر الشاعر الذي يتحدث باسمهم فيقرءهم السلام ويحكي حالهم. وإنما هي تصوير لمأساة عاشها أهل الأندلس وذاقوا ويلاتها ؛لذلك ليس "من الغريب أن نجد أن راثي غرناطة، وباكي أزمة العرب المنصرين لا يقف عن هذه النماذج طويلاً، بل يذكر بعضها ذكراً مقتضباً "[٤٧] ،فالقصيدة على طولها وتعدد أبياتها لا تكاد تخلو من تصوير تلك النماذج الإنسانية سوى أبيات معدودة لا تتجاوز

Al-Noor Journal for Humanities, September (2024); 3(1): 52 - 78
DOI: https://doi.org/10.69513/jnfh.v1n3.a2

عدد أصابع اليد.وفي ذلك تأكيد على الهلع الذي عاشوه ؛الذي يمنعهم من تكرار عيشه أو ذكره مرة أخرى.

ومن تمثلات الباعث الاجتماعي ما نجده عند أبي موسى هارون في رثائه لإشبيلية وأهلها التي كان مطلعها:

يا حمص اقصدك المقدور حين رمى لم يرع فيك الردى إلا ولا ذمما

والتي منها:

جرت عليك يد الدهر ظالمة لا يعدل الدهر في شيء اذا حكما
ما كنت أحسب أن الحادثات إذا همت بك السوء لا تلقي لك السلما
ولا توهمت ذاك الحسن يطمسه ريب الزمان ويكسو نوره الظلما
قد كان حسنك فتان الشباب فمنذ أصبت عوضت منه القبح والهرما(٤٨)

بعد أن يناديها بحمص ويصف ما تعرضت له من قساوة ، ينطلق أبو موسى ليمهد لأبيات قد صدرت عن اجتماعي ليصور الواقع هناك مذهولاً مما حصل فيها من خراب ودمار ،راداً جميع ما حصل إلى الدهر وفعله(جرت عليك يد الدهر) ؛ ليمضي متعجباً مما تعرضت له وما عزم عليه الزمان من الحروب التي لازمتها وفقدانها للأمان، ثم يسترسل أبو موسى (ذاك الحسن) مستذكراً أيام إشبيلية الخوالي وربوعها ، وما كانت تتمتع به من حسن وجمال وعيش راغد ؛ لتحطم فيما بعد جميع تلك المعالم وينطفيء ذلك النور ، وتصبح أرض مقفرة يكسوها ويخيم عليها الظلام الدامس (كان حسنك فتان الشباب)وكيف كان ماضيها الزاهي أشبه بفتاة رشيقة فتنت الشباب حينها وأصبحت بعد تلك الحوادث قبيحة المنظر .

ثم يمضي أبو موسى في بيان أسباب ذلك الانهيار والذي منه التفرق الاجتماعي وحقد الأعداء الغاصبين إذ يقول:

لما تفرقت الأهواء واضطرمت نار البغاة فقامت للردى علما

...

ونوزع الأمر أهلوه وقام به من لم يجد قدما فيه ولا قدما
وأنشروا ميت الأحقاد بينهم ولو أطاقوا لعمري أنشروا الرمما(٤٩)

يصور أبو موسى كمية التفرقة والتشتت(لما تفرقت الأهواء) التي أصابت المجتمع الأندلسي آنذاك ، والتي كانت سبباً مباشراً في إتاحة الفرصة لتلك الجيوش الغاصبة التي استغلت ذلك التشتت ؛من أجل تحقيق غاياتها وبسط نفوذها في تلك المدن

والقلاع، علاوة على تلك الفرقة والتشتت قد أسندت الأمور(ونوزع الأمر أهلوه) إلى غير أهلها ممن هم ليس أهل لتلك المهمة، ثم يمضي في تحديد أسباب السقوط التي عزاها أغلب شعراء هذا المضمار إلى الدهر وصروفه فيما عزاها آخرون إلى الابتعاد عن الدين ،والغوص في المحرمات، ليحددها أبي موسى بالتفرقة والأحقاد (وأنشروا ميت الأحقاد)التي حاول النصارى زراعتها بين المسلمين منطلقا من الباعث الاجتماعي الذي كان ظاهراً بوضوح في تلك الأبيات ، فقد" قدم الشاعر في هذه الأبيات تعليلاً واقعياً منطقياً للعوامل الرئيسة التي أدت إلى تهاوي المدن وسقوطها في قبضة الفرنجة "[٥٠]واستيلائهم عليها.

ثم يسترسل أبو موسى منطلقاً من الباعث الاجتماعي ذاكراً شيئاً من النماذج الإنسانية وما حصل في تلك المدينة من انتهاكات إذ يقول:

فكم أسارى غدت في القيد موثقة تشكو من الذل اقداما لها حطما
وكم صريع رضيع ظل مختطفا عن أمه فهو بالأمواج قد فطما
يدعو الوليد أباه وهو في شغل عن الجواب بدمع سال وانسجما[٥١]

يمضي أبو موسى طارقاً الموضوعات نفسها التي عمد إليها الشعراء السابقون في تصوير تلك النماذج الإنسانية ،ومع اتفاقنا معه في أن كل مدينة قد عاشت ظروفاً وأحداثاً تختلف عن الأخرى إلا أن أساليب النصارى وعبثهم في تلك المدن كان هو نفسه في جميع المدن والقلاع التي سيطروا عليها، فصورة (الأسارى) وهم يتعرضون للذل والهوان (تشكو من الذل) دائماً ما رأيناها تتكرر في طيات قصائد شعراء هذا المضمار، لكنه في قصيدته هذه يحددها "بـ(المرأة)التي وقعت أسيرة في يد الأعداء"[٥٢] والتي تمني النفس بقدوم من يخلصها من ذلك الواقع المخيف، وكذلك صورة (الرضيع) وهو يفارق أمه كثيراً ما شاهدناها في طيات قصائد رثاء المدن ،لا سيما قصيدة أبي موسى وما حوته من صور إنسانية أخرى تدمي القلوب حزنا ، فهي "في جملتها انفعالات متأججة، صادرة عن نفس متّحرقة متحسرة، تعتب على الضياع وتدعو إلى دفع الأخطار...لذا جاءت القصيدة قوية التأثير، بعيدة الغور في نفس السامع، بحيث تنقله إلى أجواء الحدث "[٥٣]

ثم نعود إلى القصيدة التي قيلت في رثاء "رندة وعدة مدن أخرى"[٥٤]فكما كان للباعث الديني حضوره فيها فإن فيها أبيات قد صدرت عن باعث اجتماعي بحت إذ يقول في بعض أبياتها واصفاً حال المدينة وماآلت إليه:

وقد أظلمت أرجاؤها وتزلزلت منازلها ذات العلا وقصورها
أحقاً خليلي أن رندة أقفرت وأزعج عنها أهلها وعشيرها
وهدت مبانيها وثلت عروشها ودارت على قطب التفرق دورها
وكانت عقابا لا ينال مطارها ومعقل عز زاحم النسر سورها
هوت رندة الغراء ثم حصونها وأنظارها شنعاء عز نظيرها
وقد كن عقداً زين القطر نظمها فقد فتح الآن البلاد نثيرها [٥٥]

ينطلق الشاعر المجهول ممهداً لباعث اجتماعي فيما بعد ليصور شاعرنا المدينة ، وهو يقف مذهولاً متعجباَ لما حدث فيها، وقد خيم عليها الظلام وأنهارت معالمها العمرانية ،بعد أن كانت شامخة، ثم يمضي (أحقاً خليلي أن رندة أقفرت)وكانه يشك في وقوع تلك النكبة بل مستغرباً مما حدث وهل تلك المدينة ذات النعيم والعمران قد أصبحت صحراء قاحلة خالية من البشر وتفتقر لمقومات الحياة، وقد استخدم الشاعر الاستفهام (أحقاً) وهذا الاستفهام يُظهر لنا الذهول الذي أصاب الشاعر[٥٦]، ثم يسترسل شاعرنا مصوراً المدينة وكيف كانت منيعة صعبة المنال لا تنالها (العقاب) ، التي يسهل عليها الأماكن العالية ،والتي قد مكث فيها العز لسنوات عديدة ، ثم إنهارت وغدت تلك المدينة وما فيها من (حصون) كانت في يومها على جمال المدن التي حولها إلا أنهن يتسمن بالقبح في المقارنة معها لحسنها الفائق ،وحسن حصونها التي كانت منتظمة كعقد يزيد الأندلس جمالاً.

ثم يمضي الشاعر المجهول مصوراً بعض النماذج الإنسانية وما تحدث في النفس من لوعة وحرق إذ يقول:

أحقاً أخلائي القضاء أبادكم ودارت عليكم بالصروف دهورها

...

فقتل وأسر لا يُفادي وفرقة لدى عرصات الحشر يأتي سفيرها
سأبكي وما يجدي على الفائت البكي بعبرة حُزن ليس يرقا عبيرها
عويلاً يوافي المشرقين بريحه وثُكلا بأقمارٍ قد أطفىء نورها [٥٧]

Al-Noor Journal for Humanities, September (2024); 3(1): 52 - 78
DOI: https://doi.org/10.69513/jnfh.v1n3.a2

بعد استغراب الشاعر المجهول من خراب المدينة وما حل بها من ظلام يعود ليتعجب ويستفهم مرة أخرى ، لكنه في هذه المرة يتعجب مما حل بأهل المدينة وساكنيها الذين وصفهم بـ(أخلائي) وما أصابهم من تفرق وتشتت وأنقطاع علاقات المجتمع ؛ بسبب البعد المكاني والتهجير إلى خارج المدينة الذي رده إلى القضاء والقدر وصروف الدهر، وما تعرضوا له من (قتل) وتفريق وأسر ليأتي الشاعر بـ" لفظة (عرصات) بدلاً من(ساحات). غير أن اللفظة الأولى هي أكثر تعبيراً وأشد إيغالاً في البداوة من اللفظة الثانية "[٥٨]، ثم يمضي شاعرنا بعد أن عرض لما حدث بشكل سريع يعلن إجهاشه بالبكاء مع إقراره بعدم نفعه في الذود عن ما حصل، لينتهي في في بيته الأخير ضمن هذه الأبيات ليبالغ في البكاء ويصل مرحلة العويل والبكاء عويلاً للنساء ليتبناه غير أن شاعرنا تبناه مُظهراً فيه ضعفه وشدة حزنه ودرجة بكائه.

ومن تمثلات الباعث الاجتماعي ما نجده في شعر حازم القرطاجني في وصفه لما حدث للأندلس وأهلها إذ يقول:

معاهدٌ قد لبسن الأنس متّصلاً ... في عزِّ أندية منها وأسحار
فأوحشت بعد إيناس وصار بها ... صرف الحوادث طلاباً بأوتار
وعـضُّ ظُفرٍ بأسنانٍ على زمنٍ ... قد عض أو قرع أسنان بأظفار
أبقى المنازل أصفاراً وغادرها ... من كان فيها شريداً حلف أسفار[٥٩]

يصور القرطاجني حال الأندلس وأهلها منطلقاً من الباعث الإجتماعي في كيفية تغير أحوالهم وما آلت إليه الظروف وكيف كان (العز) والخير يعم أرجاءَها ويخيم عليها ليل نهار لينقلب الأمر عليها وعلى أهلها ، لتصبح مقفرة يسودها الظلام والوحشة ، فقد وصف " بكثير من البراعة بلاده الجميلة التي كانت معاهد للأنس ، فغدت موحشة مقفرة، وكانت عامرة بأهلها فشردوا عنها والحياة الهانئة السعيدة فيها والآمال العذبة بددها الشقاء والعذاب " [٦٠]،ليمضي في وصف ما حدث من التنكيل والقسوة التي استخدمها النصارى فيها فأصبحت منازل الأندلسيين خالية منهم بعد أن هجرها أهلها مُجبرين.

الخاتمة :

وفي النهاية توصل البحث إلى ما يأتي :

- تبن لنا أن أغلب شعراء رثاء المدن قد عزوا أسباب سقوط الأندلس وما حدث فيها من مأساة وانفراط عقدها وضياع مدنها نتيجة عقاب الله لهم بسبب ضعف عقيدتهم، وانحرافهم عن طريق الحق والغوص في غياهب

اللهو والإسراف في الترف، وما ارتكبوه من معاص، والخروج عن أعراف الإسلام وقيمه.

- توصلنا إلى أن القصائد التي قيلت في رثاء المدن لم تحتوِ المدن التي سقطت جراء الفتن والحروب الداخلية، في حين نرى أن الشعراء الذين رثوا المدن التي سقطت أمام الزحف النصراني قد رسموا لوحات شعرية متكاملة للمأساة التي ألمت بالمدنِ الأندلسية وأهلها ذلك لعظم المصاب بما كان من فتن داخلية، تناولوا فيها عدداً من النماذج الإنسانية التي تغطي فئات المجتمع الأندلسي وشرائحه، وبرز فيها الإنسان الأندلسي في صورة الضحية المعتدى عليها، فصور الشعراء حالة الذل والضيم والهوان التي عاناها الأندلسيون عند احتلال مدنهم، الي بلغت من القسوى النهاية، وتجاوزت في سوئها الغاية .

- توصلنا إلى أنه كما كان للباعث السياسي والديني دوه في طلب النجدة والإغاثة كذلك كان للباعث الاجتماعي هو الآخر دوره الفعال في تحريك العاطفة الإنسانية والإسراع في تلبية تلك الصرخات فعمد شعراء هذا المضمار إلى الحديث في أبياتهم عن النماذج الإنسانية التي وقعت في تلك المحنة ،وكذلك استغلال صلة القرابة بين القبائل العربية التي كانت تقطن خارج الأندل

المصادر

١. ابن الخطيب ، لسان الدين (١٩٥٦)تحقيق: إ.ليفي بروفنسال، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، دار المكشوف، بيروت، الطبعة الثانية.
٢. ابن الخطيب ،لسان الدين ٧٧٦ه،(٢٠٠٢) تحقيق: محمد كمال شبانة، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط.
٣. ابن شُهيد ،د.ت، تحقيق: يعقوب زكي ، ديوان ابن شُهيد الأندلسي، ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ، د.ط.
٤. ابن منظور ، (١٤٠٥)لسان العرب، ، نشر أدب الحوزة، قم-إيران، هـ.
٥. أبو خليل ، شوقي،(١٩٨١) مصرع غرناطة، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية.
٦. أبو غزالة ، ضاهر ، د.ت، الإنسان الأندلسي بين واقعه العربي وما طمح إليه، ، دار المواسم للطباعة والنشر، بيروت -لبنان، د. ط،

٧. الألبيري ،(١٩٩١) تحقيق: محمد رضوان الداية، ديوان أبي إسحاق الألبيري الأندلسي، ، دار الفكر المعاصر، بيروت -لبنان، الطبعة الأولى،.
٨. الباشا ، مهجة أمين (٢٠٠٣)رثاء المدن والممالك في الشعر الأندلسي، دار شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى،.
٩. تائب ، مطيع الله وآخرون ،(٢٠٢١) باعث الجريمة في الفقه الإسلامي، ،المجلة الدولية للدراسات الأكاديمية المتقدمة ، العدد ١،
١٠. حمدان ،عبد الرحيم(٢٠٠٩)صورة المدينة الإسلامية المحتلة في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين والموحدين، ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) العدد ٢.
١١. الحميري، (١٩٨٨)صفة جزيرة الأندلس، دار الجيل، بيروت لبنان، الطبعة الثانية،.
١٢. دوزي ،رنهارت (١٩٩٩) ترجمة: جمال الخياط، تكملة المعاجم العربية، ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى.
١٣. الربيعي ، أحمد حاجم،د. ت ، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، ، الدار العربية للموسوعات، د.ط.
١٤. الرقب ، شفيق محمد عبد الرحمن ،(١٩٨٤)شعر الجهاد في عصر الموحدين، ، مكتبة الأقصى، عمان – الأردن، د.ط،.
١٥. الزيات ، عبدالله محمد ،(١٩٩٠)رثاء المدن في الشعر الأندلسي، منشورات جامعة قاريونس، الطبعة الأولى،.
١٦. الزيد، إبراهيم بن عبد العزيز (٢٠١٢) بكاء الأندلس في شعر البسطي، ، دار كنوز أشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.
١٧. الشنتريني ، أبو الحسن علي بن بسام (١٩٩٧) ، تحقيق: إحسان عباس ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ، ، دار الثقافة، بيروت – لبنان، د.ط،.
١٨. شيخة ، جمعة ، (١٩٩٥)النقد السياسي والاجتماعي في الشعر الأندلسي ديوان القيسي نموذجاً، ، حوليات الجامعة التونسية، العدد ٣٧،.
١٩. ضيف ، شوقي ، د. ت ، في النقد الأدبي ، دار المعارف ، الطبعة التاسعة ، د. ت
٢٠. عباس ، إحسان (١٩٩٦)تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ، دار الثقافة، بيروت – لبنان، طبعة ثانية منقحة ومزيدة،.
٢١. عباس ،إحسان (١٩٩٧)تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ، دار الشروق، عمان، الإصدار الأول،.

٢٢. عتيق، عبد العزيز ، د.ت ، الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية ، للطباعة والنشر – بيروت ، د. ط .
٢٣. عطية ، إسلام ربيع،(٢٠٢١)في صحبة النص الأندلسي، دار النابغة للنشر والتوزيع، طنطا -مصر، الطبعة الأولى.
٢٤. علي ، إيمان أنور حسن ،(٢٠٢١.)المكان في شعر ابن شهيد الأندلسي (قرطبة نموذجاً)، ، المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية، العدد ٢.
٢٥. عيد ، يوسف أصوات الهزيمة في الشعر الأندلسي(١٩٩٣) دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى.
٢٦. القرطاجني ، د.ت ، تحقيق: عثمان الكعاك، ديوان حازم القرطاجني ٦٨٤هـ، دار الثقافة، بيروت -لبنان، د.ط، .
٢٧. القيسي ،(١٩٨٨) تحقيق: جمعة شيخة ومحمد الهادي الطرابلسي ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي، ، بيت الحكمة، تونس، د.ط.
٢٨. المراكشي ، ابن عذاري ٦٩٥هـ،(١٩٨٥) تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، دار الغرب الإسلامي، بيروت -لبنان، الطبعة الأولى،.
٢٩. المراكشي ، عبد الواحد ،(١٩٤٩) شرح: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، المعجب في تخليص أخبار المغرب، ، ، مطبعة الاستقامة، القاهرة، الطبعة الأولى،
٣٠. المراكشي ،ابن عبد الملك الأنصاري الأوسي ، د، ت ، تحقيق: محمد بنشريفة وإحسان عباس، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ، دار الثقافة، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت.
٣١. المقري ، أحمد بن محمد،(١٩٦٨) ، تحقيق إحسان عباس ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، دار صادر، بيروت، د.ط.
٣٢. المقري ، شهاب الدين أحمد بن محمد ، د.ت، أزهار الرياض في أخبار عياض، ، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك، المغرب والأمارات، د.ط
٣٣. مكي ،الطاهر أحمد (١٩٨٧)دراسات أندلسية، ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة،
٣٤. النوافعة ، نضال أحمد،(٢٠١٤) الشعر الاجتماعي في الأندلس، دار جليس الزمان، عمان، الطبعة الأولى،.

References :

1. Abbas, Ihsan (1996) History of Andalusian Literature, the Era of the Supremacy of Cordoba, House of Culture, Beirut - Lebanon, second revised and expanded edition.
2. Abbas, Ihsan (1997) History of Andalusian Literature, the Era of the Taifas and Almoravids, Dar Al-Shorouk, Amman, first edition,.
3. Abu Ghazaleh, Daher, D. T., The Andalusian man between his Arab reality and what he aspired to, Dar Al-Mawasem for Printing and Publishing, Beirut - Lebanon, Dr. i,
4. Abu Khalil, Shawqi, (1981) The Death of Granada, House of Contemporary Thought, Beirut - Lebanon, second edition.
5. Al-Alberi, (1991) Edited by: Muhammad Radwan Al-Daya, Diwan of Abu Ishaq Al-Alberi Al-Andalusi, Dar Al-Fikr Al-Mu'astamir, Beirut - Lebanon, first edition.
6. Al-Basha, Mohja Amin (2003) Elegy for Cities and Kingdoms in Andalusian Poetry, Shiraa House for Studies, Publishing and Distribution, Damascus, first edition.
7. Al-Himyari, (1988) The Characteristics of the Island of Andalusia, Dar Al-Jeel, Beirut, Lebanon, second edition,.
8. Ali, Iman Anwar Hassan, (2021.) Place in the poetry of Ibn Shahid Al-Andalusi (Cordoba as an example), International Journal of Arabic Linguistic and Literary Studies, No. 2.
9. Al-Marrakshi, Abdul Wahed, (1949) Explanation: Muhammad Saeed Al-Arian and Muhammad Al-Arabi Al-Alami, Al-Mu'jab fi Takhlis Akhbar Al-Maghrib, Al-Istaqama Press, Cairo, first edition,

10. Al-Marrakshi, Ibn Abd al-Malik al-Ansari al-Awsi, D., T., edited by: Muhammad Bencharifa and Ihsan Abbas, The tail and the sequel to my book Al-Mawsul and Al-Sila, House of Culture, Beirut - Lebanon, D. T., D. T.
11. Al-Marrakshi, Ibn Adhari 695 AH, (1985) edited by: Muhammad Ibrahim Al-Kattani, Muhammad bin Tawit, Muhammad Zniber, and Abdel Qadir Zamama, Al-Bayan Al-Maghrib fi Akhbar Al-Andalus and Al-Maghrib (Al-Unitarian Section), Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut - Lebanon, first edition,.
12. Al-Muqri, Ahmed bin Muhammad, (1968), edited by Ihsan Abbas, Nafah al-Tayyib min al-Ghusn al-Andalus, Dar Sader, Beirut, ed.
13. Al-Muqri, Shihab al-Din Ahmed bin Muhammad, D. T., Flowers of Riyadh in Akhbar Ayyad, Joint Islamic Heritage Revival Fund, Morocco and the Emirates, D. T.
14. Al-Nawafa'a, Nidal Ahmed, (2014) Social Poetry in Andalusia, Dar Jales Al-Zaman, Amman, first edition,.
15. Al-Qaisi, (1988) Edited by: Jumaa Sheikha and Muhammad Al-Hadi Al-Tarabulsi, Diwan Abdul Karim Al-Qaisi Al-Andalusi, Bayt Al-Hikma, Tunisia, d.d.
16. Al-Qartajani, D. T., edited by: Othman Al-Kaak, The Diwan of Hazem Al-Qartajani, 684 AH, House of Culture, Beirut - Lebanon, D. T.
17. Al-Raqab, Shafiq Muhammad Abd al-Rahman, (1984) Poetry of Jihad in the Almohad Era, Al-Aqsa Library, Amman - Jordan, d.d.,.
18. Al-Rubaie, Ahmed Hajim, Dr. T., Alienation and Nostalgia in Andalusian Poetry, Arab House of Encyclopedias, D. I.

19. Al-Shantarni, Abu Al-Hassan Ali Bin Bassam (1997), edited by: Ihsan Abbas, Al-Dhakhira fi Al-Mahasin Ahl Al-Jazeera, Dar Al-Thaqafa, Beirut - Lebanon, d.d,
20. Al-Zaid, Ibrahim bin Abdul Aziz (2012) Andalusia's Crying in Al-Basti's Poetry, Dar Kunooz Ashbilia for Publishing and Distribution, Riyadh, first edition.
21. Al-Zayat, Abdullah Muhammad, (1990) Lamentations for Cities in Andalusian Poetry, Garyounis University Press, first edition,.
22. Atiq, Abdul Aziz, D. T., Arabic Literature in Andalusia, Dar Al-Nahda Al-Arabi, for Printing and Publishing - Beirut, D. i
23. Attia, Islam Rabie, (2021) In the Companionship of the Andalusian Text, Dar Al-Nabigha for Publishing and Distribution, Tanta - Egypt, first edition.
24. Deif, Shawqi, Dr. T., in Literary Criticism, Dar Al-Maaref, ninth edition, Dr. T .
25. Douzy, Reinhardt (1999), translated by: Jamal Al-Khayyat, Complement to Arabic Dictionaries, House of General Cultural Affairs, Baghdad, first edition.
26. Eid, Youssef, Voices of Defeat in Andalusian Poetry (1993), Dar Al-Fikr Al-Lubani, Beirut, first edition.
27. Hamdan, Abdul Rahim (2009) The Image of the Occupied Islamic City in Andalusian Poetry during the Almoravid and Almohad Era, An-Najah University Research Journal (Human Sciences), Issue 2.
28. Ibn al-Khatib, Lisan al-Din (1956), edited by: E. Levi Provençal, Works of the Notables in Who of the Kings of Islam Saw Allegiance before the Occupation, Dar al-Mukshof, Beirut, second edition,.

29. Ibn al-Khatib, Lisan al-Din 776 AH, (2002), edited by: Muhammad Kamal Shabana, The criterion of selection in mentioning institutes and homes, Library of Religious Culture, ed.,.
30. Ibn Manzur, (1405) Lisan al-Arab, publishing the seminary literature, Qom, Iran, e.
31. Ibn Shahid, D. T., edited by: Yaqoub Zaki, Diwan Ibn Shahid Al-Andalusi, Dar Al-Katib Al-Arabi for Printing and Publishing, Cairo, D. T.
32. Makki, Al-Tahir Ahmed (1987) Andalusian Studies, Dar Al-Maaref, Cairo, third edition,
33. Sheikha, Jumaa, (1995) Political and social criticism in Andalusian poetry, Diwan al-Qaisi as an example, Annals of the Tunisian University, No. 37,.
34. Ta'eb, Mati' Allah et al., (2021) The Motive of Crime in Islamic Jurisprudence, International Journal of Advanced Academic Studies, Issue 1,

الهوامش

(١)في النقد الأدبي، شوقي ضيف .194:
(٢)الشعر الاجتماعي في الأندلس، نضال أحمد النوافعة .1:
(٣)الإنسان الأندلسي بين واقعه العربي وما طمح إليه، ضاهر أبو غزالة .315:
(٤)الباعث على الجريمة في الفقه الإسلامي، مطيع الله تائب ع ١: ٤١مجلة (
(٥)الإنسان الأندلسي بين واقعه العربي وما طمح إليه، ضاهر أبو غزالة .315:
(٦)الشعر الاجتماعي في الأندلس .11:
(٧)مصرع غرناطة، شوقي أبو خليل .120:
(٨) يُنظر: الشعر الاجتماعي في الأندلس.8:
(٩)مصرع غرناطة .119:
(١٠)يُنظر: تأريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عباس-66: 71.
(١١)الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، أحمد حاجم الربيعي .185:

(١٢) ديوان عبد الكريم القيسي، تحقيق: جمعة شيخة ومحمد الهادي الطرابلسي .347:
(١٣)بكاء الأندلس في شعر البسطي، إبراهيم بن عبد العزيز الزيد .76:
(١٤) ديوان عبد الكريم القيسي .349-348:
(١٥) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور .1/680:
(١٦)النقد السياسي والاجتماعي في الشعر الأندلسي ديوان القيسي نموذجاً جمعة شيخة ع37:37.
(١٧) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب، سكن هو وأبوه قرطبة، وكان على مذهب الإمام أبي عبدالله الشافعي رحمه الله، وله مصنفات كثيرة جليلة القدر شريفة المقصد في أصول الفقه وفروعة وله نصيب وافر من علم النحو واللغة، وقسم صالح من قرض الشعر وصناعة الخطابة، يُنظر: المعجب، المراكشي .47-46:
(١٨)أعمال الأعلام ، لسان الدين بن الخطيب 108-107:
(١٩)الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق .327 :
(٢٠)رثاء المدن في الشعر الأندلسي عبدالله محمد الزيات .666 :
(٢١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذارى، تحقيقي ج.س كولان وليفي بروفنسان .110:
(٢٢)الأدب العربي في الأندلس .327:
(٢٣)ديوان ابن شهيد، تحقق : يقوب زكي .109:
(٢٤)دراسات أندلسية، الطاهر أحمد مكي .215 :
(٢٥)ديوان ابن شهيد .110:
(٢٦)المكان في شعر ابن شهيدقرطبة نموذجاً)، أيمان أنور حسن علي،ع٢ :٩٩.مجلة (
(٢٧)ديوان ابن شهيد .11-110:
(٢٨)تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، إحسان عباس .139:
(٢٩)ديوان أبي أسحاق الإلبيري الأندلسي، تحقيق: محمد رضوان الداية .87-85:
(٣٠)هو الفقيه الكاتب أبو المطرِّف أحمد بن عبدالله بن عميرة المخزومي، ولد بشقر بلَنسية وكان شديد العناية بشأن الرواية فأكثر من سماع الحديث وأخذ عن مشايخ أهله، وقد قال فيه بعض علماء المغرب: قدوة البلغاء، وعمدة العلماء وصدر الجلة الفضلاء...يُنظر:صفة جزيرة الأندلس، الحميري :٣٣ ونفح الطيب ، المقري *.1/313-314:
(٣١)نفح الطيب.1/310:
(٣٢)م. ن .1/310 :
(٣٣)الذيل والتكملة، ابن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي .174-173:
(٣٤)يُنظر: رثاء المدن في الشعر الأندلسي .414 :
(٣٥)الذيل والتكملة .174:

(٣٦)أصوات الهزيمة في الشعر الأندلسي، يوسف عيد .55:
(٣٧)رثاء المدن في الشعر الأندلسي .463:
(٣٨)صفة جزيرة الأندلس .41-40:
(٣٩)أصوات الهزيمة في الشعر الأندلسي .31:
(٤٠)الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،ابن بسام الشنتريني :ق ٣ ج ١/١٨٤.
(٤١)القينات =الفتيات. نفح الطيب هامش *.4/484:

() 43 [٤٢]م. ن .4/484 :
(٤٣)صورة المدينة الإسلامية المحتلة في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين والموحدين، عبد الرحيم حمدان .2/599
(٤٤) وجمعها لبابط وتعني رجل دين، كاهن، قانوني. يُنظر:تكملة المعاجم العربية، دوزي *.9/202
(٤٥)أزهار الرياض في أخبار عياض، المقري .1/110 :
(٤٦)في صحبة النص الأدبي الأندلسي، إسلام ربيع عطية .2/122 :
(٤٧)رثاء المدن في الشعر الأندلسي .462 :
(٤٨)البيان المُغرب: قسم الموحدين، ابن عذارى المراكشي .381:
(٤٩)م . ن .381:
(٥٠)صورة المدينة الإسلامية المحتلة في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين والموحدين .613:
(٥١)البيان المغرب: قسم الموحدين .381:
(٥٢)صورة المدينة الإسلامية المحتلة في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين والموحدين .602:
(٥٣)شعر الجهاد في عصر الموحدين، شفيق محمد عبد الرحمن الرقب .214:
(٥٤)رثاء المدن في الشعر الأندلسي .754:
(٥٥)دراسات أندلسية .337:
(٥٦)يُنظر: في صحبة النص الأدبي الأندلسي .2/117 :
(٥٧)دراسات أندلسية .338-337:
(٥٨)أصوات الهزيمة في الشعر الأندلسي .59 :
(٥٩)ديوان حازم القرطاجني، تحقيق: عثمان الكعاك .47-46:
(٦٠)رثاء المدن والممالك في الشعر الأندلسي، مهجة امين الباشا .240: